جُمْهُورِيَّة الْعِرَاقِ

ديوانُ الوقفِ الشِيعّي

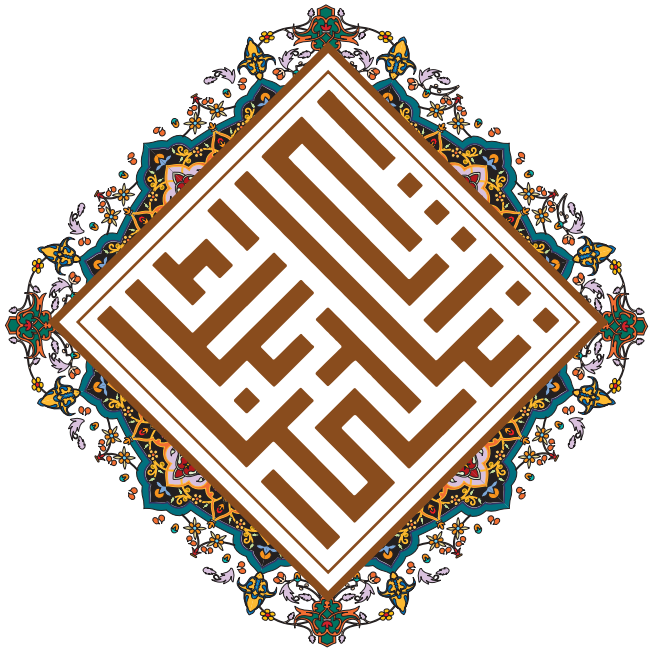

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السادسة/ المجلَّد السادس/ العدد الرابع(٢٢)

ربيع الثاني ١٤٤١هـ/ كانون الأول ٢٠١٩م

قراءة في شعر السيّد مرتضى الوهاب
(التأريخ الشعري والتقريظ أُنموذجًا)

A Reading in Sayyed Murtadha Al-Wahab's Poetry (History of Poetry and Eulogy as a Case)

أ.م.د. سها صاحب القريشي

جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Suha Sahib Al-Quraishi

University of Karbala, College of Education for Human Sciences, Dept. of Arabic Language

الملخص

يُعدّ الشاعر السيّد مرتضى الوهاب من أبرز شعراء جيله وأصدق من يمثّلهم في كربلاء، ومن أكثرهم مواكبة للنهضة الأدبية آنذاك. ومن نظرة نقدية شاملة لأشعاره يظهر أنّه غزير الإنتاج، متوقّد العاطفة، ممتلئ إحساساً وبراعة في التصوير، مستجيب للدواعي الاجتماعية والسياسية والثقافية لحقبة مهمة من تاريخ العراق، وهي حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وأن إزاحة الستار عن الأغراض الشعرية التي تطرّق إليها تكشف أنّه لم يترك غرضًا شعريًا إلّا زيّن به قصائده، وعن طريق قراءة لشعره يتبيّن أنّ ثمّة أغراضاً بعينها برع فيها الشاعر، وكان لها حضور بارز، لذا اقتضى البحث دراستها في مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويعقبهما خاتمة أجملت ما جاء فيه.

الكلمات المفتاحية: مرتضى الوهاب، التاريخ الشعري، التقريظ.

Abstract

Sayyed Murtadha Al-Wahab is regarded as one prominent modern poet among his poetry generation in Karbala keeping up with the literary restoration at his time. Critically, he is seen as a voluminous and vehemently and lively emotional poet well skilled in depiction. He is very responsive to the social, political and cultural concerns of his era; the fifties and sixties of the 20 th century. Uncovering his poetry reveals that he has used all poetry intents. Yet, he has employed some intents skillfully and distinctively

This paper is divided into (prelude, introduction, two main sections, and conclusions).

Key words: Murtadha Al-Wahab, History of Poetry, Eulogy.

المقدمة

لا شك في أنّ من يتابع تاريخ الحركة الأدبية في مدينة كربلاء في نهايات القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، يلمس بوضوح نشاط أدباء هذه المدينة في مختلف الحقول الفكرية على الرغم من ضيق الحياة الاجتماعية واختلال نظم السياسة فيها، فقد كانت الأندية الأدبية تعج بأهل الفكر، ممّا ساعد على تنمية قابليات الشعراء وتفجير طاقاتهم والأخذ بأيديهم نحو سلم التطوّر الثقافي.

وعلى الرغم من أنّ مدينة كربلاء كانت ملتقى لتيّارات فكرية وأدبية متباينة في العراق، إلّا أنّ شعراءها – ممن كانوا يتصدّرون المجالس، ويتبوّؤون المقاعد فيها، ويقرضون الشعر الرقيق- ظلّوا محافظين ومتمسّكين بشدّة بالتعاليم الدينية السمحاء التي خطّها الإمام الحسين عليه السلام بدمائه الزكية، فكانت سمة بارزة تؤطّر شعرهم. فشاعرنا السيّد مرتضى الوهاب واحد من عشرات الشعراء الذين أنجبتهم مدينة كربلاء العريقة بعروبتها، الملتزمين بحدود الدين وأحكامه الإلهية والمهتمين بالأدب والادباء؛ لأنّ أساس التجديد والتطوّر في حياة الأمم وتقدمها وبعثها من سباتها العميق ودفعها إلى الارتقاء هو ديوان أدبها الصادق وصرخات أدبائها المدوية وثورة شعرائها الصاخبة.

والسيّد الوهاب من الذين بلغوا ذروة الشخصية الأدبية بوساطة الموهبة الفكرية والمقوّمات الفطرية، والمكتسبة التي تكوّن الشخصية في الفرد وتكسبه المكانة الرفيعة في مضمار الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية.

ولهذا اقتضت ضرورة البحث أن يقسّم على مبحثين: اختصّ الأول بموضوع التأريخ الشعري، والثاني بفنّ التقريظ، سبقهما تمهيد عرض لحياة الشاعر وأبرز الأغراض الشعرية التي تناولها في ديوانه، وانتهى بخاتمة أوجزت أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد:

أولاً- ملامح عامة من حياة الشاعر:

هو السيّد مرتضى ابن السيّد محمد ابن السيّد حسين الوهاب، يرجع نسبه إلى أسرة علوية عريقة تعرف بالسادة(آل الوهاب) ينتهي نسبها إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد تولّى بعض رجالها سدانة الروضتين الحسينية والعباسية المطهّرتين، وزعامة كربلاء فيما مضى من الزمن[١].

ولد السيّد مرتضى الوهاب في كربلاء المقدسة سنة(١٣٣٦هـ - ١٩١٦م)[٢] وترعرع في كنف أبوين كريمين ربّياه تربية دينية رصينة، وبدأت علامات الذكاء وأمارات التفوّق والنبوغ عليه منذ صغر سنه، فأكمل الدراسة الابتدائية ودخل المتوسطة، ثم ترك الدراسة لظروف خاصّة لم تساعده على إكمالها، لينخرط بعدها في سلك الوظيفة إلى أن استقرّ به الحال في وظيفة كتابية في(معمل شركة كربلاء للصناعة والتجارة).

عُرف الشاعر في الأوساط الأدبية الكربلائية سنة ١٩٥٤ بعدما أصبح عضواً في(الهيأة العلوية) التي أسّسها السّيد(صدر الدين الشهرستاني) لعقد المواسم الأدبية والدينية كميلاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومواليد الأئمة الأطهار عليهم السلام، وصار ينشر مقطوعاته الشعرية في مجلة(رسالة الشرق) التي أسّسها السيّد الشهرستاني.

أمّا ثقافته فتكوّنت من حفظ القرآن الكريم والاطلاع على الحديث النبوي الشريف ومختارات من أشعار العرب أمثال المتنبّي، والشريف الرضي والبحتري وأبي تمام وأبي نواس، وقبلهم أشعار الجاهليين كالنابغة وزهير وامرئ القيس إلى

جانب كبار الشعراء المعاصرين، وخطب نهج البلاغة، كما أنّه طالع كتب اللغة والعروض[٣].

صفاته ونتاجه الأدبي

تحلّى الشاعر بصفات محبّبة إلى النفوس، فهو ظريف لطيف، حسن الخلق، طيّب العشرة، سريع البديهة، بعيد عن الكبرياء والأنفة، مخلص في عمله، صادق، كرّس حياته لخدمة الشعر، والبحث في اللغة والأدب ووظّف شعره للتراث الإسلامي، وأغراض الشعر المختلفة في صور شعرية جديدة، وكانت حياته خلال حقبة الخمسينيات حتى نهايتها في أوائل السبعينيات مفعمة بالجد والمثابرة والسعي المتواصل، إذ أسهم في معالجة القضايا الاجتماعية العامة، وشارك في رابطة(الفرات الأوسط) وأبدى فيها نشاطاً ملحوظاً. وقد كانت تربطه – لأخلاقه العالية وطيب عشرته – أواصر محبّة وإخاء مع عدد من الشخصيات العلمية والأدبية، فواكب عـدداً من شعراء المدينة المبدعين كالشيخ الحويزي، ومحمد القريني، ومهدي جاسم، ومظهر اطيمش وضياء الدين أبو الحب، وعباس أبو الطوس، والقزويني والخزرجي، والحائري وآل طعمة وغيرهم[٤].

وممّا عرف عن السيّد مرتضى الوهاب غزارة نتاجه الشعري، إلا أنَّ كثيراً منه قد فُقد، ولم يدّخر السيّد سلمان آل طعمة كعادته جهداً في جمعه من الكتب والمجلات والأصدقاء في ديوان مستقل ومبوّب بحسب حروف المعجم، مع إشارته إلى أنّ ما فاته من شعر الشاعر أكثر ممّا اطلع عليه ووثّقه فيه. ويبدو أنّ الشاعر امتلك الأدوات الفنّية لكتابة القصة وأبدع فيها، فله قصّة بعنوان(عاقبة الإحسان) نشرت في مجلّة(العرفان) اللبنانية، ولعلّها لم تُشفع بأخرى فلم يُقرأ له غيرها. وقد أشار جامع ديوانه إلى أنّه من أصحاب الأقلام السيّالة واللغة القوية فكانت له خواطر

ومقالات نُشر قسم منها في الدوريات والنشرات الدينيّة تميّزت بالرواية الصادقة وطول النفس ونصاعة الأسلوب(٥).

وفاته:

أصيب الشاعر مرتضى الوهاب بمرض نقل على أثره إلى المستشفى الحسيني بكربلاء، ليتوفّى بعدها بأيام قليلة، وذلك سنة ١٩٧٣، وجرى له تشييع مهيب من قبل وجهاء المدينة وأدبائها إلى مثواه الأخير في الروضة العباسية المقدسة(٦).

ثانيًا- الأغراض الشعرية:

سبقت الإشارة إلى أنّ أبواب الشعر على اختلاف أغراضه واتجاهاته كانت مفتحة أمام الشاعر الوهاب، وطغت على شعره روحٌ إنسانيّة نبيلة تفيض برهافة الحسّ، وهي ملتقى الحب والعاطفة على حدّ سواء، «فشعره تجسيد حيّ للواقع الذي يعيشه الإنسان في حياته الصاخبة الحافلة بالخير والشر والحزن والسرور واللذة والألم والسعادة والشقاء والعدل والظلم...»(٧).

أ- الشعر الاجتماعي:

لعلّ هذا الاتجاه من الشعر يتمثّل في الإخوانيات اللطيفة التي دلّ عليها في أكثر من موضع؛ من نحو قوله أبياتاً أرسلها إلى صديقه السيّد سلمان هادي آل طعمة، والتي نشرت في مجلّة(الثقافة الإسلامية) البغدادية، وكان حينها يمارس مهنة التعليم في منطقة عين التمر(٨): [من البسيط]

يا راحلاً نحو(عين التمر) يغرسها ... (ثقافةً) من عيون الدين يسقيها
رسالة الدين(أهل البيت) مصدرها ... وعنهمُ في الورى(سلمان) يلقيها
هذي(الثقافة) خذها من أخي وطنٍ ... لك المودّة في الأعماق يبقيها

لقد كان الأدب عند السيّد مرتضى الوهاب رسالة إنسانية يسمو بها الإنسان إلى مراتب الكمال، ولا يصل إلى هذه المرتبة إلّا بمعرفة مصدرها – وهم أهل البيت عليهم السلام – فمعرفتهم هي لبّ الثقافة وأصلها وإلّا كانت فارغة كهيكل أجوف[٩].

وله أيضاً في أدب المراسلة أبيات يخاطب بها الأستاذ محمد هادي آل طعمة[١٠]:

[مجزوء الكامل]

قل للفتى (الهادي) وما الـ ـهادي سوى الشهم الجري
كانت لنا أمنية نلهو بليلٍ مقمر
يصل الغبوق سواده ببياض صُبحٍ مُزهر
نرقى مع الوتر الحنو ن على جناح الكوثر
لكنما قست المشا كل والمشاكل تعتري
حتى غشانا الصوم في رمضان خير الأشهر
فأعاقنا عمّا نرو م به ولمّا نسمر
فعليك ألف تحية وعلى أخينا (العبقري)

وهذا النوع من المراسلات يصوّر العلاقات الاجتماعية بين الأدباء أنفسهم فضلاً على العلاقة بينهم وبين غيرهم من الناس، والقارئ يرى فيه التهنئة والتعزية والشكر وطلب الزيارة وما شابه ذلك من المعاني الاجتماعية التي تربط الناس ببعضهم، وتمتزج أحياناً بعبارات الملاطفة التي تغلب عليها البساطة مراعياً فيها التناسب بين الموضوع والألفاظ، من نحو الأبيات التي كتبها على بطاقة الدعوة للمهرجان السنوي التاسع المقام في كربلاء لميلاد سيّد الأوصياء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ١٣ رجب سنة ١٣٨٧ هـ، إذ قال فيها[١١]: [مجزوء الرجز]

تتبعها فاكهةٌ تجلو عن العين الغشا
من ذاق منها لم يقل (وا أسفا على العشا)

وكان قد نظم السيّد محمد هادي الصدر قاضي كربلاء الأسبق حينها هذين البيتين عندما نقل من كربلاء إلى الحلة: [من البسيط]

رحلتُ للحلة الفيحاء منتجعاً ... مناهل العلم والتاريخ والأدب
فلا غرابة إن فاحت حواضرنا ... (وفي الحميّة معنىً ليس في العنب)

فأرسل إليه السيّد مرتضى الوهاب هذه الأبيات[١٢]: [البسيط]

مدينة السبط نور العلم يغمرها ... فضلاً من الله إلهافاً بلا سبب
وأحرزت علمها الفيحاء من تعبٍ ... تكلّفاً فاستحقت عاليَ الرتب
فكربلا فاقت الأقطار حيث غدت ... كأنّها(الصدر) في التاريخ والأدب
أين التكلّف ممّا جاء مذهبه ... (وفي الحمية معنى ليس في العنب)

وهذه المراسلات الشعرية إن دلّت على شيء فهي تدلّ على تجاوب الشاعر مع مجتمعه، وهي في طابعها العام ذاتية تبرز شخصيتهِ وتلقي الضوء على نفسيته وطريقة تفكيره، وربما وجد بعض الأدباء والمتأدبين فيها فوائد سديدة وأحكاماً صائبة تدلّ على فكر نيّر وفطرةٍ سليمة، وأمثلة ذلك كثيرة تظهر جلية في إخوانياته، منها ما كتبه إلى أحد الأصدقاء في(مجلة التضامن) وهي مجلة تصدر في مدينة الناصرية قال في كتاب أرسله لها: «بعد التحية العاطرة: أقدم لجمعيتكم شعوري وإعجابي لقيامها بأعباء الإصلاح بين المسلمين بنشر الثقافة الدينية والاجتماعية، شكر الله سعيكم جميعاً، وهذه الأبيات التاريخية مهداة إلى مجلتكم، ١/ ٨/ ١٩٦٤م» مرسلاً معه هذه الأبيات[١٣]: [من الكامل]

نشر تضوّع بالرشاد بنشره ... فسرت إلينا بالعبير نسائم
بعثت بنا أملاً وأزكت همّة ... وبها بدت للمكرمات علائم
تدعو لجمع الدين والدنيا معاً ... والوعي بالأحكام وهو اللازم
وتطوّعت للخير فيها فتية ... بعناية الشرع المبين تساهم
يا(باقر) انهض بالجهاد وقم به ... سعياً يباركك الإمام القائم

هذه الأبيات تدلّ على أنّه كان صاحب عقيدة راسخة وإيمان عميق، معبّراً عمّا اختلج في نفسه من العرفان والشكر، ومعرباً عمّا في قلبه من حبّ ومودة لكلّ من له يد في نشر التعاليم الحقّة للإسلام والترويج لها.

وفي قسم آخر من أشعاره لا ينفك يبثّ لواعج نفسه من الواقع الفاسد بما فيه من مآسٍ ومظالم إجتماعية تصوّر حال الإنسانية المعذّبة على أيدي أناس خارجين على قيم الإسلام ومثله العُليا، لا يهمّهم سوى طمعهم وجشعهم. إذ قال في ختام قصيدة مدح فيها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بمناسبة ذكرى مولده المبارك[١٤]:

والعابد صار عدوّ الدين ... من ولد ينار تعبُّده
وأحلّ الشرع ربا الأموا ... ل وكان حراماً مورده
جهل العلماء السّر وما ... قد كان الشارع يقصده
والعبد على الحرّ استولى ... طمعاً واستاء تودّده
ماذا لو قام لنصر الحقْـ ... ـقِ وداعيه يستنجده
صرخ الإسلام لنجدته ... (وطني والحق سينجده)

وهي أبيات يتجلّى فيها شعوره الإنساني النبيل، وإيمانه الصافي، ومشاركته الفقراء والمساكين وشعوره بما يشعرون به جراء هذا الظلم الاجتماعي الواقع عليهم من التجار المرابين، وتذكيره بأنّ تلك المنافع الربوية مهما أصبحت شيئاً مألوفاً إلا أنّها تبقى خلافاً لأوامر الله ونواهيه، وليس أقل منها ما يتعرّض له بعض الناس من القسوة والغلظة وطغيانهما على الرحمة والمروءة.

وقد رسم الشاعر هذا الواقع المقيت في لوحة ناطقة عن فُحش الربا والجشع الخبيث وفضاعة الاستغلال، كما فضح المتستّرين بالدين، ومدّعي الصلاح والايمان، إذ قال[١٥]: [من المديد]

قل لقوم آزروا أهل الربا وأحلّوه لهم في جملتين
هل يبيح الشرع تحليل الطلا باعتبار الخمر ماء أو لجين؟
إنّهم في فعلهم من جهلهم أبطلوا حكمة ربّ العالمين

ب) الوصف:

وله في الوصف قصائد جميلة ولا سيّما في وصف الطبيعة وجمالها الخلّاب، من نحو وصفه مصرع زنبقة قائلاً[١٦]:

ومفتتن باقتطاف الزهور وشمّ الرياحين وقت السحر
تخطّى فجاسَ خلال الرياض وقد بلّل الزهر دمع المطر
فلاحت له بين تلك الزهو ر زنبقة تتحدّى القمر
فمدَّ إليها يد الآثمي ن مقتطفاً يا لإثم البشر
فرفت بكفّيه - مقطوعة - وقد ذبلت بعدها بالأثر
جنيت على الورد في قتله فذنبك في الحبّ لا يغتفر

وفي وصفه هذا يتجلّى شعوره المرهف، ومهارته في التعبير عن مشاعره.

ومثل تلك المشاعر الإنسانية الرقيقة يضمّنها موشّحة له بعنوان(أهلاً بقدومك يا عيد) مظهراً فيها وصفاً دقيقاً لما كان يهتمّ به العراقي بصورة عامة وربما الكربلائي منه على وجه الخصوص، إذ لم ينس أن يختمها بالدعاء لعموم الأمة بالخير، وللروضة العباسية المقدسة بدوام العيش والتقدم والتجديد[١٧]:

بقدومك ينشرح الصدر ويطيب بمجلسنا البشر
ويجدّد حُلّته الزهرُ ويغنّي الطير الغرّيدُ
أهلاً بقدومك يا عيد
للعيد نخيط ملابسنا ونفارق فيه مدارسنا

لـنـشـمّ بـــه عـــطـــراً وسـنـى ويـشـنّـف مـسـمـعـنـا الـعـود
أهـــــلاً بـــقـــدومـــك يـاعـيـد
بـالـعـيـد نـجـدّد فـرحـتـنـا نـدعـو بـالـخـيـر لأمّـتـنـا
والـعـبـاسـيـة روضـتـنـا عـاشـت ورعـاهـا الـتـجـديـد
اهـــــلاً بـــقـــدومـــك يـاعـيـد

وله في باب الوصف قوله أيضاً[١٨]:

دعـاني إلى الـترفـيـه بـعـض هنيئةٍ (أسـامـة) يـومـاً قبل قيلولة الظهر
فـتـابـعـتـه نـمـشي سـويـاً مجـامـلاً لـه لم أحـد عنه إلى حيث لا أدري
إلى أن بلغنا السوق والسوق عامر بمختلف الحاجات عرضاً لمن يشري
أراد لـيـشري سـكّـراً مـن مـعـارفٍ أقـلّ مـن الـسـعـر المـقـرر بـالـنشر
لـيـصـنـع مـنـه لـلـشـتـاء مـحـضّراً (مُـرَبَّـة) تـفـاح لها نكهة العطر
أبـوا أن يـبـيـعـوه فـقـال أظـنّـهـم رأوك مـعـي صـارًوا يغالون بالسعر
ولـمـا عـرفـت الـقـصـد مـنـه تـركـتـه فقد باع سوماً صحبتي خشيّة الخسر
إذا لم يكن في الناس من يحفظ الوفا فعتبي على(الشاوي) من أعجب الأمر

وإنّ مثل هذه القصائد الوصفية كثيرة في ديوان الشاعر، حيث انتشرت بين صفحاته ما يؤشر أنّها من السمات البارزة لأدب تلك الحقبة، فقد اتخذت وسيلة للترفيه عن النفس، وربما للتخفيف من الآلام ونسيان المشكلات التي كانت تحيط بالناس آنذاك. إلّا أنّها في الوقت نفسه تعدّ وثيقة تاريخية اجتماعية صادقة تنقل لنا صورة الحياة الهادئة الطبيعية الخالية من ضوضاء الفضائيات، وحركة المواصلات والهواتف وكثرة الناس – كما هو الحال اليوم – يعكّر صفو الحياة وهناءها، وقارئ تلك الأبيات يَشوقه الحنين حقاً حين يستحضر ما للقيلولة من أهمية في تلك الحياة، أو لتحضير بعض الأطعمة للشتاء يدوياً وبطريقة طبيعية(كالمربى) وغيرها، فيحنّ إلى ذلك الصفاء والهدوء.

ج-الرثاء:

لم يكن الحزن في الرثاء على درجة واحدة فعلى شدّة الجزع يبنى الرثاء، ولذا لوحظ فيه ثلاثة أنواع أو أبعاد، منها: التأبين، والعزاء والندب، الذي عادة ما يطلق على رثاء الأهل والأقارب والأحبة، ومنه ندب الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام[١٩] والذي يكون فيه الراثي في قمّة لوعته وحزنه.

والرثاء عند السيّد الوهاب نوعان: الأول الذي قاله في أهل البيت عليهم السلام ومصارع رجالهم ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام والذي عبّر عنه بعبارات مفجعة ومؤثرة، فقد شكل رثاء الإمام الحسين عليه السلام لشعراء كربلاء والعراق في النصف الأول من القرن العشرين جانباً مهماً من شعرهم[٢٠]، فقد «انفتحت نصوصهم الرثائية على معان متعدّدة استلهموها من واقعة كربلاء الخالدة، فكانت لهم معيناً متدفقاً يفصح عن واقع متباين الاتجاهات»[٢١] ولا عجب فإنّنا لا نجد «معركة من معارك المسلمين أغنت الشعر العربي غنىً وافراً لا يضاهيه غنىً آخر، وهيّأت أمام الشعراء العرب مادة شعرية خصبة في نمائها ووفرة في عطائها كمعركة الطف»[٢٢]. يقول السيّد الوهاب في قصيدة(يا صريع الطفوف)[٢٣]: [من الخفيف]

كلُّ رزءٍ بميّتٍ يتلاشى ... بعد حينٍ وإن تسامى فقيدا
غير رزء الحسين يبقى مع الدهـ ... ـر مُلحّاً على القلوب جديدا
يوم ثار ابن حيدر ينصر الديـ ... ـن على الكفر فاستحقّ الخلودا
ثورة أحدثت دويّاً بوجه الـ ... ظلم فأنار ركبه وأبيدا
لم يمت فيه سبط طه ولكن ... قتل السبط في الجهاد يزيدا

والنوع الثاني: وهو ما قيل في رثاء الأحبة والأصدقاء من العلماء والأدباء ومن تربطهم به علائق المحبّة والودّ، من نحو رثائه للشاعر عباس أبي الطوس في ذكرى

وفاته[٢٤]: [من الخفيف]

فقد الطف منك نجلًا وفيًّا ... وأديباً وشاعراً وطنيّا
فاحتواك الأفول نجماً مضيئاً ... وعراك الذبول غصناً نديّا
كنت للشعب مقولاً ولسانا ... وعلى الغاصبين غصباً جليّا
فجزاك المستعمرون اعتقالاً ... ولوتك السجون عوداً طريّا
لم تزل تجرع الخطوب اضطهاداً ... وتقاسي الحرمان مرّاً رديّا
لك من سيّد الأُباة نصير ... يا أبا الطوس يوم تُبعث حيّا

ويهزّه مقتل طفل صغير في مدرسة النظامية الابتدائية في منطقة العباسية في كربلاء فيرثيه بلوعة، مستلهمًا ما جرى عليه بخيال مشحون بالأشجان فيقول[٢٥]: [من السريع]

مدَّ غشومٌ يدَه الغادرة ... فاختطفت زنبقة ناضره
واستلّها أصلاً ولمّا تكن ... تفتحت أكمامها الباهره
يمّم للدرس وفي كفّه ... محفظة الكتب بدت ظاهره
وانهال بالضرب على رأسه ... ياليت شلّت يده العاثره
ويصرخ الطفل ولمّا يزل ... يجهل هذي الفعلة الجائره
يندب أمّاه ولم يستطع ... دفع الرّدى في يده القاصره
ولم يكن والده حاضراً ... يغني وليست أمُّه حاضره
ولم يزل يمعن في ضربه ... مخمداً أنفاسه الغائره
جريمة منكرة لم يكن ... في الأمس من أمثالها صايره
عزّوا (النظامية) في ثكلها ... بفقد تلك الزهرة العاطره

ولا شكّ في أنّ ما حدث لهذا الطفل البريء وما تعرض له من إجرام، قد أثّر في نفسه وأخذ طريقه إلى قلبه.

د-الهجاء:

لم يكن الشاعر الوهاب من الهجّائين ولم يعرف عنه هذا اللون من ألوان الشعر، إلّا أنّنا نجد له قصيدتين الأولى: (المتولّي الظالم) يبدو أنّه يهجو فيها المتولّي على شؤون المدينة آنذاك، يقول فيها[٢٦]: [من الطويل]

تـولّى فـأغـضى عـن سنا الحـقّ ظالماً ... ومـن عجزه الإلـفـاف آلـت إلى قفر
تـــراه فـيـغـريـك الـسـكـون بطبعه ... فتحسبه عـفّـاً كـريـماً عـن الـغـدر
ومـــا هـــو إلّا طـامـع بـــزّ قـومـه ... ثـمار نخيل قـد تـلاشى مـن الهجر
ويـنـزل أنـقـاض الـنـخـيـل جيوبه ... بـآيـة(أنـزلـنـاه في لـيـلـة الـقـدر)
لـه الخـيـر مجـلـوب إلى قـعـر داره ... وإرخاءه سيحوا [٢٧] الهوان من العسر
يقيم الـدعـاوى دون تحصيل رأيهم ... وسرعـان ما تمضي الـقـرارات بالأمر
ومـا هـو محـمـود الـفـعـال بطبعه ... ولـكـنّـه المـذمـوم مـن عـالم الـذر

وعند إنكار الشيخ محمد الخالصي للشهادة الثالثة في الآذان والإقامة انتفض السيّد مرتضى الوهاب، وتحركت حميّته على الدين والعقيدة، مدركاً لما لهذا الإنكار من إثارة للفتن والأحقاد وتفرقة بين أبناء الشعب الواحد، فهجاه بقصيدة(شيطان الفتنة) ومنها قوله[٢٨]:

ظـهـر الـدّجـال في أرض الـعـراق ... داعـيـاً فـيـه إلى نـبـذ الـوفـاق
يـبـتـغـي إزعـــاج شـعـبٍ آمـن ... ويـثـير الحـقـد فـيـه والـشـقـاق
خـــارجـــيٌّ دنّـــس الـديـن بـه ... ظـاهـر مـنـه مـــروق وانـشـقـاق
بـــؤرة الـــشر ويـنـبـوع الـشـقـا ... عـشـعـش الـشـيـطـان مـنـه بـرواق
لـفـظـتـه أرض إيـــران دمـــاً ... فـاسـداً لـــوّث أرجـــاء الـعـراق
قـل لمـن أهمـل ذكـر المـرتـضى ... بُـؤتَ بـالخـسران في يـوم التـلاق
عميت عينك عـن شمس الضحى ... أم تـرى يـعـتـور الـشـمـس المحاق

وبذلك عبّر الشاعر عن استهجانه وازدرائه بعض الظواهر الاجتماعية التي استحقت منه هجاءً اتخذ طابعاً إصلاحياً دينياً.

و- الشعر السياسي:

أمّا في باب السياسة، فلم يخل شعره من مواقف ومعالجات برز فيها شعوره القومي، ومشاعره الوطنية المتأجّجة بحرارة وصدق كما في قصيدة (الجزائر البطلة)[٢٩]: [من البسيط]

الله في وطن للعرب مهتضم ... غالي الذمار وحقّ فيه محترم
عدت عليه عوادي الجو واكتنفت ... أجواءه سحب الأحداث والبهم
هبّوا سراعاً إلى سوح الجهاد فلا ... يجدي البكاء على الآثار والرمم
ثوروا لتحرير شعب جار آسره ... لؤماً فصبَّ عليه أعنف النقم
كيف ارتضيتم لقوم من نظائركم ... ذلّ القيود وأنتم سادة الأمم
هذي جزائركم خفّوا لنجدتها ... (سعيًا على الرأس لا سعياً على القدم)
وذي فرنسا تمادت في تطاولها ... على الحمى وأماتت أشرف القيم

فشعره في هذا الإطار ثورة عارمة على الاستعمار والمستعمرين أعداء العروبة والإسلام، متسلّحاً بالشجاعة التي اكتسبها من سيّد الشهداء عليه السلام، ومن ذلك الفيض المقدّس الذي يشعّ من تراب كربلاء حيث الأنفاس الإلهية لمشيّد الشجاعة وبانيها أبي الشهداء عليه السلام مستنهضاً شباب الأمة ليبثّ فيهم الروح المعنوية التي عن طريقها يثبت الشعب وجوده ويحقّق هويته، إذ يقول في ختامها[٣٠]: [من البسيط]

إنّا إذا أنكر المستعمرون مدى ... أهدافنا وتغاضت هيئة الأمم
نحكّم السيف في تحقيق غايتنا ... (وآية السيف تمحو آية القلم)

وفي قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين عليه السلام في ذكرى الغدير الخالد، وبعد أن يستعرض لنا فيها مشاهد من بطولات وتضحيات ومعجزات الشجاعة العلوية

الخارقة، يقف حزيناً في ختامها من قضية(فلسطين) متمنياً لو يثوب العرب إلى رشدهم ويكونوا وحدة واحدة، فالاحتلال والفرقة والتهاون في الدفاع عنها لم يكن ليحصل لو تمسّك الجميع بمنهج الإمام علي عليه السلام في إشارة إلى تكامل ذلك النهج القويم وحيويته في العصور كلّها يقول[٣١]: [من السريع]

فلنتّعظ نحن بإيثاره ... ولنتّخذ أهدافه موئلا
ولنحمل الشعب على وحدة ... تجبر فيها الخصم أن يرحلا
أمسى بنو صهيون في حقلنا ... جراد برّ يقضم السنبلا
حوقلة الحيّاة أودت بها ... وأجلت اليافع والحوقلا
هذي جموع العرب مطرودة ... عن أرضها هائمة بالفلا
تاركة جنّات عدن بها ... تؤتي جناها القلّب الحوّلا
وانتشرت تحصد ميزاتها ... أيدي ذئاب تحمل المنجلا
إنّ اختلاف الرأي في أمرها ... أطمع فيها الصاغر الزملا
من بات جنب البحر في مدّهِ ... أصبح والماء عليه اعتلى

وهو بذلك كما يقول السيّد سلمان آل طعمة: «شجاعٌ جريء، صاحب عقيدة، لا يهاب في الحقّ لومة لائم»[٣٢].

المبحث الأول: التاريخ الشعري:

وهو من الفنون الشعرية، والأنظمة القديمة التي اخترعها الساميون، تقوم على حساب الجمل، استعمله العرب حتى القرن الثامن الميلادي[٣٣]، حيث اشتهرت بين شعراء العصور المتأخرة الذين أكثروا منه بشكل واضح بتأريخهم لحوادث كثيرة.

أما طريقته فهي أن يأتي الشاعر في آخر بيت من قصيدته بكلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل كان مجموعها يساوي السنة التي وقعت فيها الحادثة التي يريد الشاعر أن يؤرخها، من تأريخ هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وحساب الجمل يقوم على أساس أنّ لكلّ حرف من حروف الأبجدية العربية قيمة عددية محددة[٣٤]، ولابد للشاعر قبل تلك الكلمات من ذكر كلمة(التأريخ)[٣٥] أو إحدى مشتقاتها مثل(أرّخ) أو(أرّخت) وهكذا.

ويبدو أنّ شعراء مدينة كربلاء نسجوا على منوال هذا الاتجاه من الشعر، وبرعوا فيه، إذ لم يكن جديداً عليهم ولاسيما في النصف الأول من القرن العشرين «وشيوعه عندهم يدلّ على ما تمتعوا به من قابليات ذهنية استطاعوا من خلالها إضافة وظيفة أخرى للشعر العربي وهي جعله سجلًّا يؤرّخ الأحداث المهمة»[٣٦].

ويذكر أنّ الشاعر مرتضى الوهاب اشتهر بالتأريخ الشعري من بين كل الفنون الشعرية الأخرى وبرع فيه، فقد «طرقه بأسلوب ينمُّ عن لطافة في العرض وتوازن بين فكرة المعنى وما ترتبط به من تحديد للتاريخ»[٣٧].

وقد ذكر السيّد صادق آل طعمة أنّه «في مضمار التأريخ الشعري له قصب

السبق، فلا يجاريه أو يرقى إليه أحد من المعنيين بهذا الفن الأدبي مهما برعوا فيه»[٣٨]، فهو عنده سيّد المؤرخين في العراق عامة، حتى أنّ العلامة الشاعر الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي قال له في حشد من الحاضرين في إحدى المناسبات الثقافية في مدينة كربلاء بعد أن وجّه له الشاعر الوهاب نقداً وجيهاً حول موضوع التأريخ الشعري: «أنا شيخ المؤرخين وأنت سيّد المؤرخين»[٣٩]. وكان من براعته في هذا الفن وتفنّنه فيه يؤرخ بالتاريخين الميلادي والهجري من ذلك قوله مؤرخاً وفاة السيّد محمد علي السيّد جعفر آل ثابت ومعزياً أولاده[٤٠]:

أبو الرضا وجمال الدين حين قضى ... بكته أجفان أهل الطف بالجهر
فما عفا ذكره من كان يخلفه ... (سعيد) في قومه بالنهي والأمر
فحل أحرفه يامن تؤرّخه ... حلا، بنوعيه في بيت من الشعر
يرثي(سعيد) أباه الثابت العزم ... أودى محمد علي بالفخر والبر
(١٩٥٥م/ ١٣٧٥هـ)

وغالباً ما كان يأتي الشاعر بفن التأريخ الشعري ضمن قصائد مختلفة من حيث الأغراض والاتجاهات، فقد كان يؤرخ لقضايا وظواهر متعددة، لعلّ تاريخ الوفيات احتلّ الحيز الأوسع من بينها.

١ - الظواهر الاجتماعية:

ضَمّن السيّد مرتضى الوهاب التأريخ الشعري قصيدة الرثاء، حتى أنّه لم يرث أحداً إلا وضمَّن هذا الرثاء بتأريخ وفاة المرثي، وتنوعت تلك المراثي بين رجال دين وأشراف ووجهاء وشعراء.

أ) رثاء رجال الدين والعلماء:

قال راثياً آية الله الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين ومؤرّخاً عام وفاته

بقصيدة طويلة منها[٤١]: [من البسيط]

(بالنص والاجتهاد) المقتفى أثراً ... يزداد علماً ويلقى عنه ما صدفا
وفي(فصولك) للماضين في رتبٍ ... فصل الخطاب وفيها اثنان ما اختلفا
(مراجعاتك) تدعو من تخلّف عن ... قصد السبيل ليستهدي ويأتلفا
سألت دين الهدى من زاده شرفاً ... فقال لي شرفاً(عبد الحسين) كفى
أوديت لكن يراع الفخر أرخه ... (أحييت عبد الحسين الدين والشرفا)
(١٣٧٧هـ)

ويُعد(النص والاجتهاد) و(الفصول المهمة في تأليف الأمة) وكتاب(المراجعات) الذي انتشر انتشاراً واسعاً وطبع طبعات متعددة، من بين مؤلفات الفقيد العديدة التي قاربت الثلاثين مؤلفاً بين كتاب ورسالة وغيرها وبخاصة في مجال العقائد التي يدعو الشاعر إلى مراجعتها مَنْ تخلف عن قصد الرشاد والسبيل علّه يستنير بما قدمه فيها هذا العالم الجليل من نور أهل البيت وهداهم عليهم السلام.

وفي تأريخه لوفاة العلامة الخطيب الشيخ مهدي الحائري المازندراني قال[٤٢]:

قم وعزِّ الحائريين به ... من خطيب بالنديّ العامر
لطم الدهر عليه خدّهُ ... ونعاه بالجبين العافر
ناهز التسعين لم يبرح بها ... يندب السبط بدمع زاخر

وكذلك له في تأريخ وفاة العلامة الخطيب محمد صالح القزويني[٤٣] الذي كان خطيباً مجدّداً وله مكانة سامية في العلم والأدب صاحب كراس(الموعظة الحسنة)، كتبه ردّاً على كتاب(وعاظ السلاطين) للدكتور علي الوردي. أبيات قال فيها[٤٤]: [من السريع]

أرزيت بالمعروف والنهي إذ ... أرزيت بالواعظ والزاخر
جنب(أبي الفضل) ثوى وافداً ... مستشفعاً في صفة الزائر

آراؤه في الشرع مزدانة ... بالعقل والمكتسب الوافر
مذ استقال الراي أرّخته ... (صالح أخلى الرأي للباقر)
(١٣٧٥هـ)

وكما هي عادة الشاعر في ذكر أشهر تصانيف المرثي من العلماء رثى وأرّخ لوفاة العلامة الكبير والثبت النحرير الشيخ آغا بزرك الطهراني بذكره لأشهر تآليفه وهو(الذريعة إلى تصانيف الشيعة) وقد بلغ عدد أجزائه ستة وعشرين جزءاً طبعت في النجف الأشرف وطهران، و(نقباء البشر في القرن الرابع عشر) قال فيه[٤٥]: [من البسيط]

خطبٌ أطلَّ على الإسلام أم وَهمُ ... تطيّرا أم تخطى قلبه سهم؟
أم(محسن) وهو حيّ في مآثره ... منها(الذريعة) حكماً غاله خرم؟
فصاحب(النقباء) اليوم مرتهنٌ ... أدمى على فقده صدرَ العلى اللدمُ
وبات جنب(عليّ) الطهر حيث به ... ينالـه من مكافاة الجزا قسم
ومذ توارى منادي العلم أرّخه ... (أغا بزرگ طواه البحث والعلم)

ب) رثاء الوجهاء والأشراف:

لم يقتصر السيّد الوهاب في تأريخه للوفيات على العلماء والخطباء فحسب، بل شمل تأريخه كثيراً من الشخصيات المعروفة آنذاك كتعزيته بمناسبة وفاة الزعيم السيّد محمد نجل السيّد حسن الصدر رئيس وزراء العراق في العهد الملكي، قال فيها[٤٦]: [من الطويل]

ألمَّ بآل الصدر خطبٌ مسدّدُ ... وأودى عميد من جحاجح مُخلَدُ
فكان على حفظ البلاد وصونها ... من المعتدي(عينا) لدى الخطب تسهد
إذا بان عنها في الخطوب(محمّد) ... وغاب ففي(الهادي) عزاء ومقصد
وفي آله دال الفخار مؤرخاً ... (تولى عليٌّ حيث راح محمد)
(١٣٧٥هـ)

ويرى بعض الدارسين أنّ الشعراء «كانوا يؤرخون مثل هذه المناسبات تقرّباً من الوجهاء والمتنفذين»[٤٧] ولعلّ ذلك ينطبق على قول الشاعر وهو يؤرخ لوفاة والد متصرف لواء كربلاء عباس البلداوي الحاج عبد اللطيف البلداوي[٤٨]: [من الخفيف]

كان ترب الإحسان والفضل والخيـ ـر ورمز الوفا بشتى الظروف
كان في روضة الحسين حماماً ألف النوح في المقام الشريف
ثم آسى النداء لله ضيفاً أُسوة بالشهيد يوم الطفوف
كم تمنى فوزاً عظيماً فأرخ (فاز ضيف اللطيف عبد اللطيف)
(١٣٧٤هـ)

وكذلك قوله مؤرخاً وفاة الحاج سعيد قندي وهو أحد أشراف كربلاء وتجارها[٤٩]:

غمر البادي ثراه باكيا وسقاه (المرتضى) الكوثر عذبا
لنداء الرب في تاريخه (غاب سعدُ الحاج قندي ولبى)
(١٣٩٢هـ)

ج) رثاء الشعراء والمثقفين:

وقد أولى الوهاب اهتماماً خاصاً برثاء الشعراء المتضمن لتأريخ وفياتهم كقوله في قصيدة (فجيعة الشعر) راثياً فيها الشاعر الشهير الشيخ عبد الحسين الحويزي[٥٠]: [من البسيط]

نعاك بالحزن ناعي النظم والنشر فغبت منطوياً في سورة الدهر
واظلمت منك للشعر الرصين سما كانت منورة بالأنجم الزهر
نظمت بالمصطفى الهادي وعترته مدحاً تردده الأجيال بالذكر
يا مكثراً ومجيداً في صناعته أمسى القريض عليه لاطمَ الصدر

أتى بألفيةٍ بزَّ الألوف بها ... كما شأت ألف شهر ليلة القدر
مذ غابَ وحي النهى نادى مؤرخه ... (مات الحويزيّ ربُ الوحي والشعر)
(١٣٧٧هـ)

وألفية الحويزي هذه سميت بملحمة(فريدة البيان) وهي في مدح الرسول وأهل بيته الطاهرين وقد قال في صدورها سنة ١٩٥٥م[٥١]: [من السريع]

ألفية أم روضة للزهور ... فريدة أم مجمع للبحور
في مدح أهل البيت نور وفي ... أصلاء أهل البغي نار تفور
(حاز الحويزي) بها رتبةً ... لأجلها خلّد مدّ العصور
نال وسام الفخر من أحمد ... ونال من حيدر رمز العبور
وفاطم الطهر وأبناؤها ... تاجرهم(تجارة لن تبور)
لدى الصراط في الجزا أرخت ... (فريدة البيان صك المرور)
(١٣٧٥هـ)

ومن تأريخه لوفاة الشاعر العلامة الخطيب محسن أبي الحب قال[٥٢]: [من الكامل]

خمسين عاماً راقياً أعوادها ... يبكي الحسين وصنوه الحسن السني
فبكاه منبره وحنَّ مردداً ... (كيف السبيل إلى وصالك دُلني)
وعراهُ بعد الحزن في تاريخه ... (أسف لفقد أبي ضياء المحسن)
(١٣٦٩هـ)

وقال مؤرخاً وفاة الفيلسوف السيّد مصطفى السيّد سعيد آل طعمة[٥٣]:

بالأدب الغربي حاز رتبةً ... حتى غدا مترجماً مجيدا
مواهب مازته عن أقرانه ... وقد تجلى بينهم فريدا
قد داهمته علة طارئة ... فأخرت مسعاه أن يزيدا

فـــإن أبـــاد الحـــدثـــان جسمه ... فـــالأثـــر الخـــالـــد لـــن يـبـيـدا
شـبـل (سـعـيـد) مـذ نـأى أرخـتـه ... (والمصطفى عنّا مضى سعيدا)
(١٣٨٢هـ)

ومن القضايا الاجتماعية التي أرّخ لها الوهاب ما يتعلق بالتهاني كالتهاني بأحد الأعياد أو بميلاد مولود، أو زفاف صديق، أو عقد قرانه قال مهنئاً الأستاذ السيّد محمد هادي السعيد آل طعمة بمناسبة زفافه[٥٤]:

قـــد حـــبـــاك الله خـــــوداً ... تخـجـل الـغـصـن انـعـطـافـا
بـسـطـة في الـعـلـم قـد زد ... ت وفي الجـسـم مـضـافـا
بـــك هـــنّـــأت ابـــنـــة الخـا ... لـــين بـــالجـدّ(عـــفـــافـــا)
دمـــــت والأهـــــل بـــمال ... وبـــنـــين دُمْ مـــعـــافى
(١٩٧٢م)

وقال أيضاً مهنئاً عدنان غازي الغزالي بمناسبة عقد قرانه[٥٥]:

هـــنِّ الـــغـــزالي إذ وافـــاه طـالـعـه ... مـن المـهـا بـغـزالٍ نـاعـس المـقـل
وغـادة رقـص الصبح الـطـروب على ... ديـبـاج غـرّتـهـا تخـتـال بـالحـلـل
شـعّـت ذكـــاء لـه تـولـيـه مشرقها ... (فالشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)
ومـذ شـدا غـــزلاً نـــادى مؤرخـها ... (زفّـت سـعـاد منى عـدنـان بالغزل)
(١٩٦٧م)

وقال في ولادة فاطمة بنت الحاج عبود حسون رئيس ملاحظي معمل النسيج في شركة كربلاء للصناعة[٥٦]:

فـالـطـالـع المـيـمـون قـد أرخـهـا ... (يـزهـو لـعـبـود ظـهـور فـاطـمـه)
(١٣٨٦هـ)

وفي ميلاد بشرى وصادق ابني جعفر مجيد المستوفي[٥٧]:

أطلّت على الآفاق(بشرى) فأرخت (لقول بشير بالبشائر ناطق)(١٣٨٤هـ)
ومذ نسمات الفجر هبّت وأرخوا: (فجعفر مستوفي نسيماً بصادق)

وقال مؤرخاً زفاف هادي جواد الخزرجي[٥٨]:

هنّ أبا الهادي بيوم الهنا قرّ بعرس شبله أعينا
وانبلج الليل بتاريخه (بعرس هادي ضاء صبح المنى)
(١٣٨٥هـ)

وفي موضوع آخر قال مؤرخاً زيارته لدار صديقه السيّد سلمان هادي آل طعمه محقق ديوانه[٥٩] ومنه:

زرتُ(أبا داود) في داره وقد أنار الضوءُ إيوانها
زيارةً قلتُ بتاريخها (قصدتُ من طعمة سلمانها)
(١٣٩٠هـ - ٢٠/ ٦/ ١٩٧٠م)

وفي العتاب قال معاتبًا الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلّة(العرفان) اللبنانيّة وكان قد تحامل على مدينة كربلاء وأعلامها وأدبائها، فأجابه السيّد الوهاب بهذه الأبيات التي نشرت في المجلة نفسها عام ١٩٥٥م ومنها هذه الأبيات[٦٠]:

من مبلغ عنّي - فتى الإيمان والمكرمات - لواعج الأشجان
شاهدت إذ طالعت في عرفانه ثَلْبَ المدينة في صريح بيان
وخيار قومٍ سادة سمّاهُمُ أبناء قوم من بني سفيان
قصد المدينة والزحام أشدّه لكثافة الزوّار في شعبان

الى أن قال في ختامها:

وجرى مع الأسف الشديد مؤرخاً (توديع عارف صاحب العرفان)
(١٣٧٤هـ)

وغيرها كثير من المقطوعات والقصائد التي أرخ فيها لحوادث وظواهر شتى في مناسبات وأغراض متعددة لدرجة أصبحت تراثاً وميزة واضحة في شعر كربلاء عامة وشعر السيّد مرتضى الوهاب بخاصة، وهو بذلك حفظ لنا كثيراً من وقائع كربلاء وتراثها.

٢- الظواهر الثقافية:

وأرخ السيّد الوهاب لظواهر وأحداث ثقافية، كصدور مجلة أو نشر كتاب أو طبع ديوان، من ذلك قوله مؤرخًا صدور مجلة(النشاط الثاني)[٦١]. [من الخفيف]

أمـل دبَّ في الـنـفـوس فـأحـيـا ... هـا لـنـيـل المـنـى دبـيـب الـسـلاف
بـتـصـدي صـحـيـفـة تـنـشـئ الجـيـل ... وتـرمـي لأشـرف الأهـداف
يـرتـع الـطـالـب المـثـقـف مـنـهـا ... في مـغـاني جـنـاتـهـا الألـفـاف
فـتـفـاءل يـا شـعـب خـيـراً وأرّخ ... (سـوف ينمى بها النشاط الثقافي)
(١٣٧٧هـ)

كما قال مؤرخاً صدور مجلة(صوت الإسلام) الكربلائية. بهذه الأبيات[٦٢]: [من الخفيف]

حـوزة الـعـلـم أحـرزتـهـا الـطـفـوف ... ولهـا سـابـق الهـدى والـطـريـف
حـين دوّى صـوت الهـدى أرّخـوه ... (بـث صـوت الإسـلام يمناً لطيف)
(١٣٩١هـ)

وقال بمناسبة عودة جريدة(المجتمع) الكربلائية إلى الصدور أبياتاً منها[٦٣]:

وكـوكـب غـيّـب عـنّـا مـوهـنًـا ... ولاح مـن بـعـد سرّاء وطـلـع
بـكـربـلا لـلـجـيـل في تـاريـخـهـا: ... (فـعـاد بـالـوعـي ظـهـور المجتمع)
(١٩٦٩م)

وقال مؤرّخاً كتاب(مصابيح الجنان) للعلامة السيّد عباس الكاشاني[٦٤]:

سفر به نهج الهدى يأتلق ... ألفه من بالفخار معرّق
للعيلم العباس سفر أرخوا ... (فيه مصابيح الجنان تشرق)
(١٣٨٠هـ)

وله في تأريخ ملحمة(عيد الغدير) لصاحبها الشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة بيتان نشرا على غلاف الحلقة الخامسة من كراس(من وحي ذكرى أهل البيت عليهم السلام الخاص بيوم الغدير الصادر سنة ١٣٧٦هـ في كربلاء المقدسة)، قال فيها[٦٥]:

(لبولس) جلجل الحق ... في ولاء الأمير
بيوم خمّ وأرّخت ... (عاد يوم الغدير)
(١٣٧٦هـ)

وقال مؤرخاً لظهور دواوين شعر كديوان(عبير وزيتون) للشاعر عدنان غازي الغزالي[٦٦]:

فشمَّ شذاه المعجبون وأرخوا ... (عبير وزيتون لنا نشر مشعره)
(١٩٦٧م)

وقال مؤرخاً صدور ديوان(الأغاريد الشعبية) للشاعر الشعبي الحاج كاظم المنظور الكربلائي ومن هذا التأريخ قوله[٦٧]:

غنى بسري الهم مصدود ... برّحه صدٌّ وتسهيد
(فكاظم) الشوق بدا معلناً ... لشوقه لحن وترديد
وصار(منظوراً) بعين الهوى ... يرمقه الفتيان والغيد
هذي قوافي الشعر أرختها ... (بلابل منها أغاريد)
(١٣٧٧هـ)

وغيرها كثير من الكتب والمجلات والصحف التي أرخها الشاعر، وأسهم في أن تبقى مدينة كربلاء من أهم المواقع الأدبية التي أزدهر وتواصل فيها فن التاريخ الشعري.

٣- الظواهر الدينية:

ومن التاريخ الشعري ما يتعلق بقضايا دينية كبناء مسجد أو غيره من الأحداث والظواهر كما في بناء باب مسجد الكوفة الذي أرخ له الوهاب في أبياته[٦٨]:

دون مصلى المرتضى المساجد ... والكلم الطّيّب فيه صاعد
أبوابه للقاصدين فتحت ... حطّت على أعتابها المقاصد
خلد باني بابه مؤرخاً ... (في مسجد الكوفة باب خالد)
(١٣٧٤هـ)

وقال مؤرخاً مسجد الحاج مصطفى أسد خان الكائن في مقاطعة(أبو عصيد) في قرية(الطف)، وهو من الشخصيات اللامعة والنبيلة في كربلاء[٦٩]:

فشع في الآفاق من تاريخه ... (ضوء مصلّى مصطفى نجل أسد)
(١٣٨٥هـ)

وكذلك أرّخ لجامع(الكرامة) وهو أحد مساجد كربلاء المعروفة[٧٠]:

مسجد شاده الأوائل وقفاً ... لم يزل خالداً ليوم القيامه
أسسوه على التقى ليقيموا ... لفروض الصلاة فيه دعامه
منتهاه باب الكرامة للسبط ... وحصن العباس عالٍ أمامه
وكرامٍ قد جددوه فأرخ ... (صل فيه هذا مصلّى الكرامه)
(١٣٨٨هـ)

ونظم السيّد مرتضى الوهاب موشحة بمناسبة تذهيب قبّة أبي الفضل العباس عليه السلام وختمها بقوله[٧١]:

قبّة فوق الثريا ارتفعت ... وعلى الآفاق بدر أطلعت
من أبي الفضل بنور سطعت ... وحكى تاريخها (صدقاً على
مرقد العباس تاج الذهب)
(١٣٧٥هـ)

وكذلك في إكساء باب في الروضة العباسية المطهرة بالفضة قال مؤرخاً[٧٢]:

قف بباب واستشفع إليه ... بفتى في كربلاء واسى الحسينا
باب خلدٍ حيث في تاريخه ... (شيّدوا باب أبي الفضل لجينا)
(١٣٧٤هـ)

ومما يتعلق بتلك الظواهر إنشاء سبيل الماء كما في سبيل الماء الذي كان قد أنشئ وسط ساحة المخيم آنذاك ونقشت على الكاشي الكربلائي الذي غلفه، أبيات الوهاب في تأريخه ومنها[٧٣]:

إشرب الماء من معين مسنّم ... وفراتٍ مروّق وتنعّم
بعد يوم الطفوف بالطف أرّخ ... (سلسبيلاً صفا بقرب المخيم)
(١٣٨٩هـ)

وفي الموضوع نفسه عندما أنشأ علي شاه سبيل ماء في كربلاء المقدسة سنة ١٣٢٤هـ وبعد مضي سنوات على تأسيسه أرخه السيّد الوهاب[٧٤]، قال فيه[٧٥]:

أنشأ علي شاه من مآثره ... سقاية وردها من العسل
يجري بها الماء بارداً عذباً ... من منهل بالرحيق متصل
باسم الحسين استهل تاريخاً ... (يفيض بالطف سلسبيل علي)
(١٣٢٤هـ)

وبمناسبة إنشاء سبيل ماء(باب الشهداء) قال مؤرّخاً بأبيات ختمها بقوله[٧٦]:

من روى التسنيم بالحاير في تاريخه (سلسبيل لعطاشى كربلا شهداً جرى)

(١٣٨٨هـ)

ولو بقينا نتابع كلّ ما أرّخ له الشاعر لطال بنا المقال، ولذا سوف نتوقف عند(فاجعة عزاء طويريج) تلك الحادثة التي وقعت في ظهر يوم عاشوراء سنة ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦م بينما كان الموكب الضخم يشق طريقه إلى صحن الإمام الحسين عليه السلام فإذا بأحدهم يسقط من شدة الزحام عند باب قاضي الحاجات، ليتلوه الواحد بعد الآخر، وقد ذهب ضحية الحادث أكثر من ثلاثين شهيدا*، أرخها الوهاب بأبيات قال فيها[٧٧]:

جدّدوا للمثل العليا رسوماً رسخت وشعارات بها آيات كفرٍ نسخت

موتة مثلى بوجه الظلم جهراً صرخت ولدى مصرعهم أم المعالي أرخت

(شهداء بعزا العاشر طافوا بالطفوف)

(١٣٨٦هـ)

المبحث الثاني: فن التقريظ:

تنوعت الفنون والأغـراض الشعرية والاتجاهات في الشعر العربي قديمه وحديثه، كالرثاء والهجاء والغزل والحكمة والسياسة، ولعلّ فنّ المديح كان من أكثرها شهرة وغزارة.

وإذا كان المديح بالفعل يُعدّ من أشهر وأكثر الأغراض الشعرية في تاريخ الأدب العربي، وليس من شاعر عربي إلّا وكان للمديح في شعره نصيب، وإذا كان هذا الفن ينحو عبر منحيين رئيسين: المدح التكسّبي الذي يبغي الشاعر من ورائه كسب المال أو غيره من المكتسبات كمكانةٍ أو وجاهةٍ يسعى لها، وغير تكسّبي وهو الذي يحاول الشاعر من خلاله أن يرسم صورة واضحة عن معالم الممدوح في أروع مظاهره وتجلياته، فهو يعطي صورة حقيقية وصادقة للكمال الإنساني المتجسّد في شخصه، الذي تتجلّى فيه القيم العليا والفضائل الأخلاقية والاجتماعية الرفيعة من كرم وصدق ومروءة ووقار وإيمان وتقوى وسخاء وشجاعة ويصوّرها بإطار فني جميل، ليكون مثلاً أعلى وقدوة لمن يليه من الناس، وبهذا المعنى «يخرج المديح عن واقعه الاستهلاكي الرخيص ودائرته الضيقة القائمة على المصلحة والمنفعة الشخصية، والتملّق والنفاق والتزلّف ويكون في مقدمة الفنون الأدبية التي تسعى إلى بناء الانسان وتركيز المثل والأخلاق العليا في شخصيته»[٧٨] فإنّ شعراء كربلاء عموماً كان المسلك الثاني في المدح منحىً لمدائحهم، ولاسيما مدحهم للنبي الأكرم وآل بيته(صلوات الله وسلامه عليهم)، والشاعر السيّد مرتضى الوهاب أحد أبرز هؤلاء الشعراء ويعكس هذا الاتجاه قوله بمناسبة ميلاد سيّد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم[٧٩]:

يـا نـسـيـم الـشـوق صـل مـأوى الـكـرام
لاثـمـاً مـثـوى الـرسـول الأعـظـم
حـامـلاً مـنـي لـه أزكـى سـلام مـن ربـى الـطـف لـروض الحـرم
واشرح الـشـوق لـه شرحـاً يـطـول
لأبي الـقـاسـم والـزهـرا الـبـتـول
وأعـد لحـن الـصّـبـا بـاسـم الـرسـول
وامـلأ الأسـماع شـدواً بـالهـيـام رافـعـاً أنـغـامـه لـلأنـجـم

وقـولـه في الإمـام علي عليه السلام في ذكـرى مـيـلاده المـبـارك، إذ قـال في قصيدة (وليد الكعبة)[٨٠]: [من الكامل]

وأتـى (عـلـي) سـاجـداً وجبـيـنـه أثـر الـسـجـود يـلـوح في سـيـمائه
ولـد الـذي نـسـف الـتـماثـيـل التي نـصـبـت بـبـيـت الله في أفـنـائـه
ولد الـذي دكّ العروش وكـان في الـ ـهيجا مـلـوك الأرض مـن أسرائـه
هـو مـن رسـول الله حـيـث أقـامـه هـارون مـن مـوسى عـلى استثنائه
نـفـس الـنـبـي وصـهـره ووصـيّـه وأبـو الهـداة الـغـرّ مـن أبـنـائـه

وفي عيد الغدير الأغر الذي طالما تغنى به شعراء كربلاء مستحضرين فيه تاريخ تلك الحادثة قال قصيدته (أبو الأعياد)[٨١]: [من السريع]

ومـاشٍ ركـبـاً جـدَّ مـن يـثـرب يـمَّـم شـطـر الـبـيـت عـبـر الـفـلا
وكـان في عـاشـر حـول مـن الـ ـهـجـرة يـوم حـجّ فـيـه خـلا
مـغـتـسـلاً بـالمـاء مـطـيـباً ثـوبـيـن فـوق جـسـمـه مـسـبـلا
يـطـوي رقـاع الـبـيـد في جحفل تـسـعـين ألـفـاً قـدّروا الجحفلا
ضـمّ سراة الـقـوم مـن بـيـتـه ومـن بـنـجـد يـثـرب أقـبـلا
يـصـحـبـه الأنـصـار والحـاضر والـبـاد والمـهـاجـرون الأُلى

واصطحب النسوة في محمل ... عزّ - مصون خدره - محملا
عاد بهم من بعد إنهائه ... مناسك الحج وقد أكملا
فأدركوا الجحفة ظهراً وقد ... كانت لجمع طرقهم مفصلا
وفي(غدير خم) روح الأمين ... لآية التبليغ - أمراً - تلا
قال لهم من كنت مولىً له ... حقّاً فمولاه عليّ العلا
ثم دعا اللهم والِ الذي ... والى علياً واخذلن من قلى
عبارة فاه بها المصطفى ... وحياً من الله له أنزلا

وهذا النوع من المدح يبرز بوصفه غرضاً مستقلاً احتلّ حيزاً مهماً من أغراض الشعر الكربلائي الحديث، بوصفهِ ملك على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه، ومَنْ أحق باظهار الفضائل والصفات النادرة والخصال الحميدة والمآثر الإنسانية والشمائل الكريمة من أهل البيت عليهم السلام؟ فالمديح بذلك يصبح وسيلة من وسائل إصلاح المجتمع وإشاعة روح الفضيلة بين الناس؛ ذلك لأنّ هدف الشاعر من وراء المديح ينصبّ في ترسيخ الفضيلة والأحقية في شخص الممدوح وتعميمها ونشرها في المجتمع بوصف الشعر وسيلة من وسائل التثقيف وإظهار أحقية وفضائل أهل البيت والدفاع عنها من نحو ما نجده في قول الشاعر في القصيدة نفسها[٨٢]: [في السريع]

مكرمةٌ خصّ عليا بها ... أنطقها نبيّه المرسلا
فانزلوها قصد أهوائهم ... قد خان من دسى ومن أوّلا
فسجّل التاريخ أحقادهم ... حسبهم التاريخ ما سجّلا
وقلّدوا صاحبهم منصبا ... ضاق به وأخّروا النوفلا
فصار شخص الدين من فعلهم ... من عرج يكاد أن يزملا

أمّا فيما عدا هذا النوع من المدح، «فلا تكاد تظهر أهمية مدائحهم إلّا فيما

اصطلح عليه بالتقريض»[٨٣] أو التقريظ، فقد جاء في المعاجم العربية التفريق بينهما، إذ إنّ التقريظ يعني: مدح الانسان وهو حي، وقرظ الرجل تقريظاً: مدحه وأثنى عليه، وقولهم: فلانٌ يقرّظ الرجل تقريظاً، بالظاء والضاد جميعاً، ومثله التقريض بالضاد، وقد قرّضه إذا مدحه أو ذمه، فالتقارظ في المدح والخير خاصة، والتقارُض في الخير والشر[٨٤]. و«لا تكاد هذه المفردة تستعمل – اليوم – إلّا لتدلّ على امتداح الجهد الثقافي العلمي والأدبي»[٨٥]، ولأنّ دلالة استعمال اللفظة على مدح شخص معين لكتاب أو مؤلف أو لهما معاً، فإنّ الصواب هو استعمال كلمة(التقريظ)[٨٦].

ولا يعدو التقريظ الذي عُرف في مدينة كربلاء المقدسة ولاسيما عند شاعرنا السيّد مرتضى الوهاب إلّا إشادة بالمديح والثناء على الكتاب ومؤلفه، كما درج عليه الأقدمون في هذا الفن الذي ربما شاع في زمن العثمانيين، وسار عليه من جاء بعدهم، إذ يعطي المؤلف كتابه لشخصية علمية بارزة كي يقرظه له، أمّا اليوم فقد أخذت هذه الصناعة بالتطور واستبدلت بما يعرف بـ(التقديم) الذي يصل بالمقدم إلى تقويم الكتاب ومؤلفه وإعطاء رؤيته الخاصة مما يغني الكتاب ويزيده ثراءً[٨٧].

إنّ شيوع فن التقريظ في شعر الوهاب يدل على متابعته لما يصدر من مطبوعات وتقديره للجهود المبذولة في إصدارها، فهو لم يدع كتاباً أو مجلة أو جريدة أو ديواناً إلّا وقرظه.

أمّا أهم العناصر التي تتكون منها قصيدة التقريظ عنده فهي: وصف المقرظ والإشادة به، وتبيان نوع الكتاب، ووصف أثر المقرظ على نفس الشاعر، ومدح المؤلف والدعاء له. من نحو قوله مقرظاً كتاب(المختصر المفيد للنشأ الجديد)

لمؤلفه علي عبود أبو لحمة[٨٨]: [مجزوء الرجز]

مؤلفٌ لنا ظهر ... فيه جلاء للبصر
يدعو إلى سبيل أهـ ... ـل البيت سادات البشر
أبدى(عليّ) جهده ... فيه بفنٍّ مبتكر
يجزيه باديه لما ... أبدع فيه وسطر
مخلداً في رغدٍ ... أرخت(يحي المختصر)
(١٣٨٩هـ)

وعن طريق هذا التقريظ تتضح أهم العناصر الأساسية فيه كبيان نوع الكتاب الذي يقرظه، بأنّ وصفه أنّه يدعو إلى سبيل أهل البيت عليهم السلام، وأنه قد بذل فيه جهداً كبيراً، وأنّه سلك فيه فناً مبتكراً، فهو يستحق أن يجزيه الله عليه خير الجزاء. والملاحظ في أكثرها -إنّ لم نقل كل تقاريظ الشاعر الوهاب- عدم انفصال قصيدة التقريظ عن فن التأريخ الشعري، بل جاء التقريظ مذيّلاً به عن طريق التداخل مع المفردات الدالة عليه كما في الأمثلة التي سترد.

وعندما نمعن النظر في منهجية السيّد الوهاب في تقاريظه للكتب التي قرّظها نجد أنّها تميزت بالعديد من المميزات، من أبرزها: تقديم رؤية عن موضوع الكتاب، فقد تميزت بعض مقدمات أو تقريظات الشاعر للكتب والمؤلفات المختلفة بتقديم رؤية حول موضوع الكتاب المقدّم له، فقد تكون هذه الرؤية ثقافيّة أو علميّة أو تاريخيّة أو فقهيّة أو أدبيّة وغيرها، بحسب محتوى الكتاب فإذا كان الكتاب ثقافياً فالرؤية التي يقدمها الشاعر تكون رؤية ثقافيّة وإذا كان الكتاب تاريخياً فالرؤية في تقديمه للكتاب تكون تاريخيّة... وعلى هذا يمكن قياس بقيّة الأمثلة.

وللتدليل على ذلك نستعرض بعض تقاريظه لكتب مختلفة من حيث المحتوى وكذلك المؤلفين لما في ذلك من توضيح للفكرة.

١ – تقريظه لكتاب(العرب في الكتاب والسنة والتاريخ):

للحاج جاسم الكلكاوي وقد تناول في تقريظه له مدحاً في البداية للعرب وصفاتهم كقوله[٨٩]: [من البسيط]

قوم بذكرهم الركبان حيث سرت ... تناقلته قوافي بالشذا عطرا
عمّت فضائلهم رقّت شمائلهم ... طابت عناصرهم أصلاً ومنحدرا
جود وعدل وإقدام وتضحية ... وصدق وعدٍ وعلم في البلاد سرى
هذي مآثرهم بالدهر خالدة ... في الشرق والغرب منها أحدثت أثرا

ومن ثم يعرّج على وصف العرب في السنة النبوية المشرفة وآيات القرآن الكريم:

زكتهم السنّة السمحاء من درب ... ووصفهم بين آيات الكتاب جرى

وفي جانب آخر يسترسل في ذكر أيام العرب وفتوحاتهم التي وصلت إلى حدود الصين شرقاً وفرنسا غرباً بوصولهم بلاد الأندلس وحكمهم فيها لقرون متطاولة من الزمن حتى دانت لهم الأمم، في إشارة إلى بطولاتهم وأمجادهم من دون أن يظلموا أحداً في حكمهم لأنّهم كانوا يحكمون بالعدل والسماحة ومبادئ الإسلام الحقة:

جابوا بفتحهم الآفاق وانطلقوا ... بسيرهم فاستقلوا الشمس والقمرا
دانت لهم أمم الدنيا وما ظلموا ... وقد بدا حكمهم بالعدل مؤتزرا

ويظهر من التقريظ السابق أنّ ثقافة الشاعر في مجال التاريخ تقليدية، مستقاة من الكتب العامة التي لم تترك منقبة إلّا ونسبتها للخلفاء الذين حكموا العرب

والمسلمين باسم الدين، ولو على حساب الحقيقة، فليس كل مافي بطون التاريخ من معلومات صحيح، إذ لم يحكم بالعدل والسماحة ومبادئ الدين الحقة غيرأهل البيت عليهم السلام.

ثم ينطلق الشاعر من مقولة هارون العباسي الشهيرة التي كان يخاطب فيها السحابة(أيتها السحابة في أيّ مكان شئت فأمطري فسوف يحمل إليَّ خراجك)[٩٠] يريد بذلك بيان سطوة الدولة العربية وسعة ملكها وعظم سلطانها، مؤثراً الإشارة من دون الاستشهاد بالنص واستدعائه وذلك عن طريق لفظة(ديمة) معتمداً أسلوب التناص بوظائفه وآلياته المختلفة للوصول إلى دلائليته.[٩١] وما وصل إليه العرب من تطور على الصعيد الثقافي والعمراني في زمن الدولة العباسية: [من البسيط]

ولم تمر ديمة تسقى بوابلها ... خرقاً من الأرض فيها تعصر المطرا
إلّا وكان لها من فيضها لبدٌ ... ومن جفاها لبيت المال ما عمرا
وشيّدوا أينما حلّوا صروح علا ... ظلّت لأمجادهم في نطقها صورا

إلّا أنّ الوحدة العربية بقيت مجرّد حلم، فسرعان ما تعكّر صفوهم، وذهبت ريحهم وفشت بهم آفة الفرقة لتكون النتائج نكسات تتبعها نكسات: [٩٢] [من البسيط]

حتى إذا ما فشى التفريق بينهم ... وقد غدا بأسهم ما بينهم هدرا
تخاذلوا مغنما للطامعين بهم ... ونام من كاد يخشى بأسه حذرا
ونكسة حدثت بعد التصادم من ... سبع وستين فيها أججت شررا
في مصر حيث جموع الشعب قد فتكت ... بهم شرا ذم شدوا أزرهم خبرا

وبذلك يدلّ على إنّ الكتاب انبرى لتتبع تاريخ العرب من الجاهلية قبل الإسلام وما كانوا يتصفون به من فضائل حميدة تعطرت في البلاد كالعدل والجود والتضحية وصدق الوعد والاقدام وغيرها من المآثر التي جاء الإسلام ليقرها ويحمد من يتصف بها من المسلمين ثم تتبع مآثرهم عبر العصور وصولاً إلى العصر الحديث عصر الشاعر حيث سادت الفرقة والانكسار والانهزام، وما نكسة ١٩٦٧ أمام العدوان الإسرائيلي إلّا دليلٌ على ذلك، لينتهي تقريظه باستنهاض تلك الأمة بقوله: (٩٣) [من البسيط]

أخا العروبة ثُر وانصر أخاك بها ... ودع عدّواً كما الباغي يذق سقرا
أبو فراس انبرى لم ينسحب فشلًا ... وفضل الأسر بين الروم مصطبرا
كيف اصطبارك عن ثار لعزتها ... وكيف يهنأ للموتور طيب كرى
يا أمة رفعت أعلامها ظللاً ... متى نرى حقّها قد عاد منتصرا؟

٢- تقريظه لكتابي (تراث كربلاء) و(شعراء من كربلاء):

هذان الكتابان ألّفهما السيّد سلمان هادي آل طعمة، الأول منهما بتاريخ ١٣٨٣ هـ، والثاني بتاريخ ١٣٨٨ هـ كما أرّخه الشاعر في نهاية تقريظه لهما. وقد قدم للأوّل بمقدّمة تناول فيها شرحاً مختصراً لما احتواه هذا الكتاب من آثار أدبية مهمة لأبناء هذه المدينة المقدسة، مشيداً بالمؤلّف الذي يعدّ في طليعة مثقفيها وأدبائها، وهو أدرى بمن فيها من عباقرة الفن الشعري ممن عاصرهم أو ممن تتبعهم بسعيه وجهده، إذ قال في تقريظه: (٩٤) [من الرجز]

أضاء للناظر برق فجلا ... ما قد توارى من فخار وعلا
وما حواه (الطفّ) في كنوزه ... من أدب مروّق يحكي الطلا
وانكشفت آثار ما شيّده ... عباقر الفنّ لنا من الألى

أظهره(سلمان) بعد غيبة ... كادت بأن تأتي عليه فانجلى
فإنّ أهل البيت - وهو منهم - ... أدرى بما في بيتهم مفصلا
بسعيه وفنه وجهده ... أرّخته(أحيى تراث كربلا)

وأمّا في تقريظه لكتابه الثاني(شعراء من كربلاء)[٩٥] قال:

وأديب شاعر في سفره ... عن ذوي الشعر حديثاً فصلا
ليس بدعاً إنّما(سلمان من ... أهل بيت) ذكرهم فضلاً علا
ولذا قد جاء في تاريخه ... (شعراء قد حوتهم كربلا)

٣- تقريظ كتاب(نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين):

في تقديم الشاعر السيّد الوهاب لهذا الكتاب الذي يتناول تاريخ عمارة المشهدين المقدسين للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولده سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليهما السلام، خصوصاً لمن يبتغي تتبّع هذا التاريخ من أهل البحث والدراسة، لما يضمّ هذا الكتاب من حقائق تعينه على ذلك وهو من مؤلفات العلامة الجليل السيّد حسن الصدر، الذي تم طبعه للمرة الأولى في الهند، وصدرت الطبعة الثانية منه في مدينة كربلاء سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م، وقد طبع على نفقة السيّد محمد سعيد آل ثابت، فقال في تقريضه:[٩٦] [من الخفيف]

أيّها الطالب الحثيث بجدٍّ ... باحثاً عن عمارة المشهدين
دونك المبتغى بنشر كتابٍ ... ضمّ طياً حقائقاً من لجين
خطّه قبل للأنام يراع(الـ ... ـحسن الصدر) ثم غاب ببين
فأتى طبعه حديثاً(سعيدٌ) ... (ثابتُ) الأصل ناصع الجدّين
وتبنّى(أبو لواء) بعزم: ... نشره فاستوى على قدمين
يا بشيرًا بعد النوى أرّخوه ... (عدّ وبشّر بنزهة الحرمين)

١٣٨٥هـ

٤) تقريظ كتاب (أبو طالب والإسلام):

يتحدّث الكتاب عن جانب مهم من تاريخ الإسلام وشخصية مركزية فيه ألا وهي شخصية أبي طالب سلام الله عليه، إلّا أنّ هذه الحقيقة الدامغة شابها التشويه والزيف والخطأ بغضاً بأمير المؤمنين عليه السلام، فيأتي هذا الكتاب لمؤلفه سماحة العلامة السيّد عباس الكاشاني واحداً من الكتب التي كشفت الزيف بإبرازها للحقيقة الناصعة، وفي هذا نصر للاسلام وأهله على الباطل وأهله ممن يريدون طمس الحقائق لمآرب خبيثة تصب في مصلحة أعداء الدين، يقول في تقريظه[٩٧]: [من السريع]

أجريتَ من يراعك السارب ... منهل علمٍ ساغ للشارب
صنعت منه جفراً للسطور ... وأريت فيها هذر الكاذب
أبرزت سفراً بين طيّاته ... نظّارة المتعة للراغب
نصرت يا (عباس) في نشره ... من نصر الدين على الغالب
أنت على صدقك في حبّه ... لم تعدُ فيه سمة الكاتب
فالبحث والتحقيق في جانب ... (وحب أهل البيت في جانب)

منهياً تقريظه ببيت أرّخ لظهوره قائلاً:

به كما خلّدت تاريخه ... (خلّدت نوراً لأبي طالب)
(١٣٧٦هـ)

٥- تقريظ كتاب (البيوتات الأدبية في كربلاء):

وهو كتاب قيّم لصاحبه الأستاذ موسى إبراهيم الكرباسي قرظه الشاعر الوهاب في ستة أبيات نشرها المؤلف في كتابه[٩٨]، قال فيها[٩٩]: [من البسيط]

جـلا بـعـضـب يـــراع مـن يـراعـتـه ... ما جـال في ساحة الآداب من ريب
وخـــطّ لـلـزمـن الآتي بـريـشـتـه ... مـآثـراً خـلّـدت مـن سـالـف الحقب
هـذي(كـرابـيـسـه) بـالـراح طافحة ... مـروقـات شرابـــاً مـن دم العنب
يـكـاد مـن يـتـعـاطى مـن سلافتها ... يتيه بـالـشـدو نـشـوانـاً مـن الـطـرب
وذي بـيـوتـاتـه بـالـطـف قـد رجعت ... تـزهـو بأعلامها مـن سـادة العرب
حيث استطالت سما أوحى مؤرّخها ... (دانـت بيوتات موسى قمّة الأدب)
(١٩٦٨م)

فالشاعر الوهاب بلطافة نهجه المعهودة حاول إبراز أهمية الكتاب الذي هو دراسة أدبية تحليلية تتضمن تراجم لأعلام الحركة الأدبية في كربلاء خلال ثلاثة قرون.

الخاتمة

كما كان لكربلاء مكانة سامية ومنزلة رفيعة في ميدان الجهاد والإصلاح والدين، كذلك كان الركب الأدبي في طليعة القوافل التي أخذت بزمام كربلاء إلى ميدان الرفعة والتقدم، ولعلّ الشعر والشعراء شكّل المقدمة منه في عقود متطاولة من تاريخ هذه المدينة المعطاء. والشاعر السيّد مرتضى الوهاب يمثّل أحد أبرز شعرائها في حقبة الخمسينيات والستينيات إلى أوائل السبعينيات من القرن العشرين، إذ كانت حياته مفعمة بالسعي المتواصل والنشاط المتميز، فلم يترك غرضاً شعرياً إلّا ونظم فيه، فكانت الإذخوانيات والمراسلات والرثاء والوصف والهجاء، إلّا أنّه برع بفنّين من فنون الشعر وهما: التاريخ الشعري، وكذلك التقريظ الذي برع فيه فعُدّ من خلاله من الروّاد في تشجيع المؤلّفين والكتّاب والإسهام في نشر الفكر والعلم عبر تقديماته لكثير من المؤلفات، فقلّما نجد كاتبًا أو شاعراً في كربلاء لم يقدم له السيّد الوهاب أو يقرظه.

ومن الملاحظ أنّ تقريظاته لم تقتصر على شريحة من دون أخرى، ولا على المؤلفين المبرزين من دون غيرهم، فقد قدم للمؤلفين المبرزين والمشهورين كما لغير المعروفين، وكما أنّه قدّم للعلماء قدّم لغيرهم، فقد شمل في تقريظاته كلّ الشرائح وكلّ المؤلفين، ومختلف الكتب، بغضّ النظر عن مستواها العلمي أو مكانة مؤلّفيها، وما يعطي لتلك التقديمات من أهمّيّة هو توثيقها باليوم والتاريخ السنوي، حتى شكّلت بحد ذاتها مدرسة في فنّ وصناعة التقريظ للكتب والمناسبات من خلال تأريخها فكان له الأثر الجليل والنفع العميم في حفظ تلك الحوادث والمناسبات.

الهوامش:

١. ينظر: الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء: ٤٧ وما بعدها.

٢. ينظر: أعلام من كربلاء، الشيخ أحمد الحائري الأسدي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣-١٤٣٤م: ٣٤٩.

٣. ديوان السيّد مرتضى الوهاب(المقدمة): ٧، وينظر: ومضات من تراث كربلاء الحضاري(كربلاء قبل ٦٠ عاماً): ٧٧.

٤. ديوان السيّد مرتضى الوهاب(المقدمة): ٩.

٥. المصدر نفسه: ٧-٨

٦. معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣: ٦/ ٢١٢، وينظر ديوان السيّد مرتضى الوهاب(المقدمة): ١٩.

٧. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء: ٦١.

٨. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ١١١.

٩. ينظر: الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء: ٦٢.

١٠. م.ن: ٥٥.

١١. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٦٩.

١٢. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ١٥.

١٣. م.ن: ٩٣.

١٤. م.ن: ٤٥.

١٥. م.ن: ١٠٢، ١٠٣.

١٦. م.ن: ٥٥.

١٧. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٤٦

١٨. م.ن: ٥٣.

١٩. ينظر: الصحاح: ١/ ١٩٧، وفن الرثاء: ١٢-٥٣.

٢٠. ينظر: الإمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث: ٤٠.

٢١. الشعر الحسيني بين العربية(في العراق) والفارسية من سنة(١٨٥٠-١٩٥٠): ٥٤

٢٢. معجم شعراء الإمام الحسين: ١/ ٨.

٢٣. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٣٩.

٢٤. م.ن: ١١١.

٢٥. م.ن: ٦٧.

٢٦. م.ن: ٦١.

٢٧. «وإرخاءه سيحوا» هكذا وردت في الديوان.

٢٨. م.ن: ٧٧.

٢٩. م.ن: ٩١-٩٢.

٣٠. م.ن: ٩٣.

٣١. م.ن: ٨٥-٨٦.

٣٢. مقدمة ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ١١.

٣٣. ينظر: الأرقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ: ٨٤، وتاريخ العلوم عند العرب: ٢١.

٣٤. جعلوا لكل حرف رقماً يقابله على وفق ما يلي: أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، ك=٢٠، ل=٣٠، م=٤٠، ن=٥٠، س=٦٠، ع=٧٠، ف=٨٠، ص=٩٠، ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش=٣٠٠، ت=٤٠٠، ث=٥٠٠، خ=٦٠٠، ذ=٧٠٠، ض=٨٠٠، ظ=٩٠٠، غ=١٠ ينظر: الأرقام العربية ورحلة الأرقام" ٨٤، وتاريخ العلوم عند العرب: ٢١.

٣٥. ينظر: المعجم الأدبي: ٥٦.

٣٦. الأدب العربي في كربلاء: ٣٧٣.

٣٧. البيوتات الأدبية في كربلاء: ٥٦٢.

٣٨. الحركة الأدبية في كربلاء: ١/ ٦١.

٣٩. م.ن: ١/ ٦١.

٤٠. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٥٢.

٤١. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٧٤.

٤٢. م.ن: ٥٠.

٤٣. ينظر: خطباء المنبر الحسيني: ٥/ ٣٤.

٤٤. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٥٤.

٤٥. م.ن: ٩١.

٤٦. م.ن: ٣٧.

٤٧. الأدب العربي في كربلاء: ٣٧٤.

٤٨. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٧٥.

٤٩. م.ن: ٢٩.

٥٠. م.ن: ٥٨، ٥٩.

٥١. م.ن: ٥٢.

٥٢. م.ن: ١٠٥.

٥٣. م.ن: ٤٧.

٥٤. م.ن: ٧٥، ٧٦.

٥٥. م.ن: ٨٩.

٥٦. م.ن: ٩٤.

٥٧. م.ن: ٧٨.

٥٨. م.ن: ١٠٩.

٥٩. م.ن: ١١٠.

٦٠. م.ن: ١٠٥، ١٠٦.

٦١. م.ن: ٧٤.

٦٢. م.ن: ٧٢.

٦٣. م.ن: ٧٠.

٦٤. م.ن: ٧٦.

٦٥. م.ن: ٦٢.

٦٦. م.ن: ٥٩.

٦٧. م.ن: ٣٨.

٦٨. م.ن: ٣٨.

٦٩. م.ن: ٣٧.

٧٠. م.ن: ٩٦.

٧١. م.ن: ٨٠.

٧٢. م.ن: ١٠٤.

٧٣. م.ن: ٩٤.

٧٤. ينظر: كربلاء في الذاكرة: ١٨٣.

٧٥. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٨٨.

٧٦. م.ن: ٥٣.

٧٧. م.ن: ٣٣.

٧٨. اتجاهات الشعر العربي في الحلة في العصر الوسيط ٦٥٦هـ – ١٣٣٥هـ رسالة ماجستير مثنى حسن عبود الخفاجي – جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية: ٢٧.

٧٩. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٩٤.

٨٠. م.ن: ٢٤.

٨١. م.ن: ٨٢، ٨٣، ٨٤.

٨٢. م.ن: ٨٤.

٨٣. الأدب العربي في كربلاء من إعلان الدستور العثماني إلى ثورة تموز ١٩٥٨: ٢٤٩.

٨٤. ينظر: لسان العرب: م٧/ ٤٥٥، والمنجد في اللغة: ٦٢١.

٨٥. تاج العروس (قرض) و(قرظ): ١٩/ ١٩ و٢٠/ ٢٥٩.

٨٦. ينظر: فن صناعة التقريظ: ١٨.

٨٧. ينظر: م.ن: ١٩.

٨٨. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٥٩.

٨٩. م.ن: ٥٦-٥٧.

٩٠. صُبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٣/ ٢٠٧.

٩١. التناص في الخطاب النقدي والبلاغي: ٢٣-٢٤.

٩٢. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٥٧.

٩٣. م.ن: ٥٧.

٩٤. م.ن: ٨٨.

٩٥. م.ن: ٨٩.

٩٦. م.ن: ١٠٤.

٩٧. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٣٣.

٩٨. ينظر: البيوتات الأدبية في كربلاء: ٥٦٣.

٩٩. ديوان السيّد مرتضى الوهاب: ٣٢.

المصادر والمراجع:

١. الادب العربي في كربلاء من إعلان الدستور إلى ثورة تموز ١٩٥٨م، د. عبود جودي الحلي، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء، العراق، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٢. الارقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ، سالم محمد الحميدة، ط١، بغداد، ١٩٧٥م.

٣. الإمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث، تأليف د. علي حسين يوسف، وحدة الدراسات التخصصية في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٤. البيوتات الأدبية في كربلاء(دراسة أدبية تحليلية)، موسى إبراهيم الكرباسي، نقابة المعلمين المركزية، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزيدي(ت١٠٢٥هـ)، تحقيق عدد من المحققين، الكويت، ط١، د.ت.

٦. تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م.

٧. التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد القادر بقشي، تقديم محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.

٨. الحركة الأدبية المعاصرة في كربلاء، السيّد صادق آل طعمة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط٢، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٩. ديوان السيّد مرتضى الوهاب، جمع وتحقيق: سلمان هادي آل طعمة، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠. صبح الاعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشدي(ت ٨٢١هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للطباعة والنشر، د.ت.

١١. الصحاح المسمى تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري(أبو نصر إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٨هـ) بعناية مكتبة التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

١٢. فن الرثاء، د. شوقي ضيف(ضمن سلسلة فنون أدبية) دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٣. فن صناعة التقريظ(منهجية الدكتور الفضلي نموذجاً)، الشيخ عبد الله أحمد اليوسف، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٤. لسان العرب لابي الفضل جمال الدين محمد من مكرم بن منظور الافريقي المصري(ت ٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٥. المعجم الأدبي، جبّور عبد النور، ط١، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦. معجم شعراء الحسين، تأليف وتحقيق العلامة الخطيب الشيخ جعفر الهلالي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط١، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٧. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٢٧، ١٩٨٤م.

الرسائل والأطاريح:

١. اتجاهات الشعر العربي في الحلة في العصر الوسيط(٦٥٦هـ - ١٣٣٥هـ)، رسالة ماجستير، مثنى حسن عبود الخفاجي، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢م.

٢. الشعر الحسيني بين العربية(في العراق) والفارسية من سنة(١٨٥٠م - ١٩٥٠م)، دراسة أدبية مقارنة، أطروحة دكتوراه، محمد حسين علي، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٤م.